السنة الأولى ماستر
شعبة الأدب القديم
مقياس الأدب القديم والنقد الجديد
طبيعته: نظري
الأفواج: 3و4
الأستاذ الدكتور محمد بن زاوي
2020 ـ 2021

قراءة في كتاب وهب رومية
شعرنا القديم والنقد الجديد

يحاول هذا الكتاب ربط الإبداع بتاريخ الحضارة، فيرى الإبداع واحدا من أبنية الثقافة الثلاثة: البناء الفكري، والبناء العلمي، والبناء الفني، ويعي خصوصية هذا البناء في طبيعته الفنية، في كيفية تعبيره عن المرحلة الحضارية التي يواكبها أو يتنبأ بها أو يقترحها، ويرى الخطاب النقدي خطابا تصوريّا تسري فيه روح الشعر، وتربطه بالفن صلة رحم واشجة، أو ضربا من الإبداع وإن توسل بأدوات العلم ومناهجه، ولا مناص له من أن يكون كذلك إذا أراد أن يكون خطابا نقديا أصيلا. وفي ضوء العلاقة بين هذه المحاور الثلاثة الحضارة والإبداع والنقد مضى مؤلف هذا الكتاب يستأنف النظر في شعرنا القديم، وفي بعض ما قيل حوله من نقد معاصر، فقدم قراءة تحليلية ناقدة للمنهج الأسطوري في دراسة الشعر الجاهلي، وضم إليها محاولة جديدة في دراسة هذا الشعر وتفسيره رغبة منه في الكشف عن رؤية الذات شاعرة لنفسها في مرآتها الخاصة وفي مرايا الآخرين معا، وعن رؤية هذه الذات للكون ومشكلاته الكبرى ونواميسه الخالدة، تسعفه في ذلك معرفة واسعة للشعر العربي قديمه وحديثه، وشاعرية عالية قادرة على الدهشة الحية والتعاطف العميق والكشف الباهر.

ويشكِّلُ كتابُ "شعرُنا القديم والنقدُ الجديد، للدكتور "وهب أحمد رومية"، محاولة جادة في التأصيل لمنهج عربي في قراءة الشعر العربي القديم، تنطلق من الوعي الشمولي للحياة التي شكلت هذا الأدب ولوظيفة الشعر، مع الأخذ بالأدوات النقدية الحديثة، دون أن تكون هذه

الأدوات مقصودة لذاتها، وعرض الكاتب لبعض ملامح النقد العربي المعاصر. وموقفه من النقد الأسطوري للشعر العربي القديم وخاصةً الجاهلي منه .

وسنحاول فيما يلي الوقوف عند أهم القضايا النقدية التي تناولها وهب رومية في كتابه:

أولا- المقدمة:

طالما وقفَ العديدُ من النقادِ العرب، موقفَ المرتابِ من النظرياتِ الأدبيةِ الحديثة، المستجلبةِ من الغربِ . هذه النظرياتُ التي نشأتْ في الغربِ من وعيٍ لثقافاتِ تلكَ الشعوبِ وآدابِها. بينما استجلبنَاها نحن العربَ -في الغالبِ والأعم- بغير نظرٍ إلى الثقافةِ ذاتِ التأثيرِ الأكبر في توجيهِ الفكرِ، والفنِ، والأدبِ، في الحياةِ العربيةِ، وهي الثقافةُ العربيةُ الإسلامية. فاستدعينَا هذه النظرياتِ، ابداءً من الواقعيةِ... ومرورًا بالماركسيةِ، والفرويديةِ، والأسطوريةِ... إلى عصرِ ما بعدِ البنيويةِ، والأسلوبيةِ، وأخيرًا -وليس آخرًا- نظريةُ النقدِ الثقافِي، التي لم تكتملْ بعدُ ملامحها في الفكرِ النقديِّ العربيِّ المعاصر .

ثانيا- التعريف بالناقد والكتاب:

1- **التعريف بالكاتب:**

الدكتور وهب أحمد رومية، ناقدٌ سوريٌّ، حازَ على درجةِ الدكتوراه في الأدبِ القديم، من كليةِ الآدابِ بجامعةِ القاهرة، بمرتبة الشرف، مع التوصية بطباعة وتبادل الرسالة مع الجامعات. وعيِّنَ رئيسًا لقسمِ اللغةِ العربية في جامعةِ صنعاء سابقًا، ومدرسًا للأدبِ القديمِ في جامعةِ دمشق. ومن مؤلفاته (الرحلةُ في القصيدةِ الجاهلية، و قصيدةُ المدحِ حتى نهايةِ العصرِ الأمويِّ بينَ الأصولِ والإحياءِ والتجديد).

2- **التعريف بالكتاب:** صدرَ الكتابُ عن سلسلةِ عالمِ المعرفةِ، برقمِ 207 في شهرِ آذار لعام 1996. ويتألفُ الكتابُ من ثلاثةِ أقسامٍ (تمهيدٌ وبابان).

أما التمهيدُ: فقد عرضَ فيه إلى فرضين جعلَهُما الركيزةَ الأساسيةَ في بحثِه وهما :

- **الفرضُ الأول:** و "يقومُ .. على اعتقادٍ بأنَّ نقدَنَا المعاصرَ نقدٌ مأزومٌ على الرغمِ من الضجيجِ الذي يُرافِقُهُ خُطوةً خُطوة".

- **الفرضُ الثاني:** و "يقومُ على اعتقادٍ بأنَّ شعرَنا القديمَ شعرٌ غامضٌ وبواحٌ في آن، خِلافًا لِما شاعَ في أوساطِ أكثرِ الدارسين." .

ويُقسمُ **البابُ الأول**/الحداثةُ المموهة: إلى فصلين، وهما: (العلاقةُ بين الشعرِ والنقدِ، وهو فصل تنظيري عرض فيه الكاتب منهجه ونظرته للنقد المعاصر وسبل دراسة الشعر العربي القديم . ثم أتبعه بالفصل الثاني تحت عنوان: نقدٌ وتحليل: نقدُ المدرسةِ الأسطوريةِ لشعرِنا القديم، حاور فيه أهم السالكين لهذا المنهج في دراسة الشعر العربي القديم، والذين غلب عليهم إلواء النص الجاهلي ليتوافق مع تصوراتهم التي تفرضها عليهم طبيعة المنهج الأسطوري). أما **البابُ الثاني**/محاولةٌ جديدةٌ في تفسيرِ شعرِنا القديم: فقد وضعَه لاختبارِ الفرضِ العلمي الثاني –غموضُ شعرِنا القديم وبوحيتَه– اختبارا تطبيقيا عمليا لآرائه التنظيرية. فعالَجَ في الفصلِ الأولِ منهُ، رؤيةَ الذاتِ في القصيدةِ العربيةِ القديمة. وعالجَ في الفصلِ الثاني، رؤيةَ الكونَ في القصيدةِ العربيةِ القديمة.

ثالثا– بابُ المصطلحات:

إذا كان مصطلح أي علم هو المادة المعرفية الأولى التي ينبغي علينا أن نتعرف عليها، فهذا يعني أنه يتوجب تقديم هذه المصطلحات على أبوابها، حتى تكون المدخل المعرفي الأول الذي يحدد للقارئ توجه ومعرفته، ولهذا قمت باختيار مصطلحات جعلتها مدخل للمواضيع المطروحة في هذا البحث. وهي:

1– النقد الأدبي : "فن تحليل الآثار الأدبية". أو "هو وعي نظري للظاهرة الأدبية ينهض على التحليل والتفسير والتقييم" . أو هو" تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول بالدرس مدارس أدبية، أو شعراء، أو خصومات يفصل القول فيها، ويبسط عناصرها، ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها". ويختلف تعريف هذا النقد باختلاف المناهج والمداس التي تتناول العمل الأدبي

2. **الشعر:** وهو "فن يعتمد الصورة ، والصوت، والجرس، والإيقاع، ليوحي بإحساسات، وخواطر وأشياء، لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف" . فالشعر إذًا

تصورات ذهنية يصدرها المبدع بهيئة لغوية ولفظية تعمد إلى الوصول إلى المتلقي والتأثير فيه بطريقة خارجة عن المألوف من أنواعه القول.

3. **القراءة** : تعرَّف القراءة بأنها "ترجمة الرموز المكتوبة إلى كلمات منطوقة. والربط بين الرمز المكتوب ومدلوله، أي: معناه الذهني. وهي بهذا المفهوم عملية مركبة تشترك فيها (العين) وهي وسيلة التفرقة بين رمز مكتوب و آخر . و(اللسان) وهي أداة النطق- و(العقل) وهو أداة إدراك المعاني" .

المحاضرة رقم 3
قراءة في كتاب وهب رومية
شعرنا القديم والنقد الجديد

4- **النقد الأسطوري:** "هو النقد الذي يبحث في النص عن الوحدات الأسطورية فيعُودُ إلى الهيكليَّة الأسطوريَّة الأوليَّة، ويبيِّن ما أصابها من إضافات أو تزيينات". فهو نقد الظاهرة الأدبية على أساس الربط الذهني بين الإنسان الحاضر، وأصوله الأولى، على اعتقاد بأن أعمالَنا الأدبية صادرةٌ عن لاوعي جماعي يوحد البشرية جمعاء.

5. **الثقافة:** على المستوى الفردي "إنماء ملكة من الملكات بالقيام بتدريب معين خاص بها". أو هي كما يعرفها محمّد عبد الكريم الجزائري هي: " نضج في العقل، ووعي في القلب، وإرهاف في الشعور، واستقامة في السّلوك، وحذق في الأشياء علماً وعملاً".وعلى المستوى الاجتماعي "حصيلة عمل اجتماعي ضخم طويل خلال عصور كثيرة وطويلة". ولابد لأي إنسان أن يتأثر بالثقافة التي يتنج عنها، مهما حاول الانفصال والانعزال عنها. إنها محرك داخلي في الذات الفردية والأممية، عمادها التأثر والتأثير والتراكم المعرفي عبر مراحل طويلة من الزمن.

وإذا كنا لم نقم بدراسة دور الثقافة في الأعمال الأدبية والنقدية، كان سبب الاختيار لهذا

المصطلح تركيز الكاتب على الثقافة بوصفها عاملٌ أساسيٌّ في إنتاج الأدب وعنها ينبغي أن يصدر نقد الأدب.

ثالثا – باب القضايا: وتناول فيه :

1- ملامح النقد العربي الجديد:

في جوِّ الأزمةِ العارمةِ التي يعانِي منها النقدُ العربيُّ المعاصرُ، من عدمِ وعيٍ للثقافة، وتشتتٍ ما بين الناقدِ والجمهورِ، وبين النصِ النقديِّ والمنقودِ، ظهرَ لهذا النقدِ عدةُ ملامحٍ تميَّزَ واتَّسمَ بها. ومنها:

أ- **غلبة "الاضطرابِ والارتجال"**: ومرَدُّ هذا الملمحِ، إلى التعجُّلِ في وضعِ المعاييرِ النقديةِ، وعدمِ تريُّثِ النقادِ في نقدِهم، مما أدَّى إلى اضِّرابِ المناهجِ النقديةِ في أيدِي هؤلاءِ النقاد، وإلى وتداخلِها وتحوُّلِ ثقافتِهم النقدية "إلى أشتاتٍ منهجيةٍ تكادُ تستعصي على محاولةِ ردِّها إلى منهجٍ بعينِهِ أو مناهجَ متقاربةٍ، وتكادُ الصلةُ تتقطعُ بينَ مواقفِ أصحابِ هذه المناهجِ في النقد ومواقفِهم في الحياة".

ب- **الغموضُ والبلبلةُ والاضطراب:** وهذا الملمحُ كما يراهُ الدكتور وهب ناتجٌ عن الملمحِ السابقِ وبرهانٌ عليه . حتى أنَّ غموضَه فاقَ غموضَ الآثارِ الإبداعيةِ نفسِه . يقول: إن "جلَّ ما نقرؤه اليومَ من نقدٍ...هو نقدٌ غامضٌ مبلبلٌ ملتوٍ حتى يوشكُ أنْ يكونَ مستغلقًا، وتوشكُ أنُ تكون قطيعةً بينَهُ وبينَ جمهورِ المتلقين". وهذا الغموضُ النقديُّ أدَّى بسببِ منظِّري النقدِ الحداثيين، من شعراء ونقاد، إلى ظهورِ نصوصٍ شعريةٍ تكادُ تكونُ أقربَ إلى الكتابةِ الهيروغليفية، أو نصوصِ التعمية.

ت- **برودة اللغة النقدية ورومنسيتها:** يقول الدكتور وهب: "ويعرف قارئُ النقدِ العربيِّ الراهنِ ما يعتري لغةَ هذا النقدِ –ما خلا جانبًا يسيرًا منه تسرِي فيه روحٌ رومانسيةٌ عارمةٌ وإن أنكر ذلك– من برودةٍ وغثاثةٍ وفتورٍ يكادُ ينقلبُ إلى كزازةٍ"

وهو معَ هذا يحذِّر من وقوعِ لغةِ النقد في إنشائيةِ القدماءِ، علميةِ العصر، فَيرى أنَّه "مهما حاولنا أن نقترب بلغة النقد من روح العلم فلن نُفلحَ في أنْ نجعلَ منها لغةً علميةً صِرفًا إلا إذا كان ذلك على حسابِ الخطابِ النقديِّ نفسِه"

ث- **اضطراب المصطلح النقدي:** ومكمنُ الاضطرابِ في استمرارِنا في استخدامِ مصطلحاتٍ نقديَّةٍ غيرِ مستقرةٍ، وغيرِ ومتفقٍ عليها في الأوساطِ النقديةِ العربية، وحتى أنَّ مفاهيمَ هذه المصلحات مازالت غيرُ محددة بشكلٍ صحيح وواضح. إضافةً إلى ذلك فقد تحوَّلَ المصطلحُ بيدِ أغلبِ النقادِ إلى أداةٍ تعملُ على إثباتِ قدرةِ هذا الناقدِ أو ذاك، فراحوا يحشدون كتاباتِهم النقدية بمصطلحاتٍ يكادون لا يفقهونَ عنها شيئا أو ربما يدَّعونَ فهمها ، فكيف بجمهور المتلقين الذين من واجب النقد عليهم أن يرفعهم إلى مستوى عالٍ ؟

ج- **الثرثرة:** فمازالَ نقدُنا المعاصر يعاني من آفةِ الإطنابِ والخروجِ عن الموضوعِ، والتي كان يعجُّ بها نقدُنا العربيُ القديم. فكأنَّ نقدَنا المعاصرَ رغم ارتدائه لباس العلم وتخليه عن فتنة اللغة لم يستطع أن يتخلى عن هذه الظاهرة أو "جرثومة الإطناب" على حد تعبير الدكتور وهب.

ح- **التصاغر** : يكمنُ هذا الملمحُ في نظرِنا إلى النقدِ الغربيِّ على أنَّه المثلُ الأعلى الذي ينبغي علينا أنْ نحتذِيهِ باستمرار، فوقفنا عاجزينَ عن تأسيس منهج نقدي عربي وبقيت ممارستنا النقدية متخلفةً عن مواكبةِ الإبداعِ العربيِّ والتطوراتِ التي طرأتْ وتطرأُ عليه .

وهذه الملامح السالفة الذكر لا يقصد بها الشمول بقدر ما يقصد بها التنبيه إلى أهمها إذ يمكن إضافة ملمح الفوقية : وهي النظر إلى العمل الإبداعي على أنه خاضع لسلطة الناقد وعلى الناقد أن يأمر وينهى .

وكذلك يمكن إضافة ملمح استعراض القدرات : حيث يقف الناقد أمام العمل الأدبي فيعرض ما لديه من معرفة نقدية ومعرفة بالمدارس والاتجاهات النقدية دون أن يتعرض للنص المنقود إلا بالشيء النذر اليسير.

2- شروط قراءة الشعر القديم:

وهنا لابد لنا من إعادة ذكر الفرض العلمي الثاني الذي اعتمده الدكتور وهب في تمهيده وهو" أنَّ شعرَنا القديمَ شعرٌ غامضٌ وبواحٌ في آن، خِلافًا لِما شاعَ في أوساطِ أكثرِ الدارسين". وهذا الشعر الغامض البواح "صالح -ككل شعر عظيم- لقراءاتٍ متعددة تفك رموزه ليبوح بثرائه الباهر".

ويرى الدكتور وهب أن النقد ينبغي أن يصدر "عن رؤية شمولية للحياة ومفاهيم محددة عن

الإنسان وموقفه من الحياة و الواقع، وعن الشعر وعلاقته بهذه الحياة وهذا الواقع، ووظيفته التي ينبغي أن ينهض بها". وتحقيق هذا الشرط في قراءة الشعر القديم يسمح لنا بإعادة اكتشاف هذا الشعر وفق تصور كامل وشامل للحياة التي أنتجت هذا الإبداع الشعري ... ولا يمنع بعد هذا من الاستعانة بالأدوات النقدية الحديثة التي لم تكن متوفرة عن النقاد القدماء.. وانطلاقا من هذه الركيزة يضع لقراءة الشعر القديمة مجموعة من الشروط ينبغي أن تتوفر فيها.

فإذا كانت القراءة نوعان استيعابية وحوارية فينبغي ألا نكتفي بالقراءة الاستيعابية لهذا الشعر إنما علينا أن ننتقل إلى القراءة الحوارية هذه القراءة التي "تجعل من الذات القارئة ذاتًا منفعلةً لا فاعلةً ، فهي تقبل كل ما تقرأ وتستوعبه."

أما شروط القراءة الصحيحة التي ارتآها الدكتور وهب، فهي:

1- فهم معاني كلمات النص فهما تاريخيا أولا .. وبسبب افتقار المكتبة العربية للمعجم التاريخي فيأتي الشرط الثاني "مكملا لهذا الشرط وسياجا له يحول دون الوقوع في الخطأ". وهو:

2- التحليل التاريخي: أي ربط النص بسياقه التاريخي . لأن "معرفة هذا السياق بأبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية ... ضرورية لفهم النص".

وهذان الشرطان يمثلان المرحلة الأولى من مراحل القراءة وهي القراءة التفسيرية.

3- أما الشرط الثالث لقراءة الشعر القديم فيقوم على ألا نصل إلى مرحلة القراءة التأويلية ما لم نمر بمرحلة القراءة التفسيرية التي يمثلها الشرطان الأولان.

فالتأويل "شرط لبقاء الخطاب المقروء وشرط لبقاء الخطاب الحالي". وهذه القراءة تؤكد "أن الذات القارئة... لا تقل أهمية عن الموضوع المقروء".

4- أما الشرط الربع للقراءة الصحيح للشعر العربي القديم ، فيكمن في "التراجع عن أي رأي أو تأويل إذا ثبت بطلانه أو عدم صحته" .

3- النقد الأسطوري من حيث النشأة والأفكار:

نشأ هذا النقد في الغرب على يد الناقد الكندي: (نورثروب فراي) حين أصدر كتابه "تشريح النقد" . وأفكار (نورث) في هذا الكتاب متأثرة الفلسفة اليونغية، التي اكتشفت منطقة تقبع تحت الأنا الشخصي وهي منطقة اللاوعي الجمعي، وعن هذا اللاوعي "تصدر الصور النمطية المألوفة

في الفن والأدب" .

وبتأثير من الفلسفة اليونيغية آمنت النظرية الأسطورية بمسألة الأنماط العليا التي تشكل محور الدرس الأسطوري . وهذه الأنماط هي النماذج البدائية التي ما نزال نكررها في أعمالنا بطريقة أو بأخرى، فجمهورية أفلاطون وشيوعية ماركس هي تكرار للنمط البدائي الأول وهو جنة عدن. ورحلة السندباد وإلقاء يوسف عليه السلام بالبئر والتقاط الحوت ليونس عليه السلام، هي صورة استعارية لمشهد الموت والانبعاث فاليوم الآخر. وهكذا أخذت هذه النظرية في تفسيرها للأدب.

فعندما أشرف (آرثر هاتو) على موضوع (لقاء العشاق وافتراقهم عند الفجر في الشعر) بعد أن جمعوا لهذا الموضوع أشعارا من ختلف الأعراق والأصقاع، ومن أقدم شاعر بدائي إلى عصر (شكسبير) وصلوا إلى نتيجة مفادها وجود تشابه كبير بينها يكاد يبلغ حد التشابه بين قصيدتين في موضوع واحد لشاعر واحد .

"وعندما اكتشفت ألواح أوغاريت في الشاطئ السوري عثر على قصائد يتساوى فيها أقدم شاعر أوغاريتي مع أحدث شاعر سوري" .

ونتيجة لاعتماد النقد الأسطوري على هذا المنهج منهج الأنماط العليا، ضاع الاعتراف بالأدب، فلا يوجد أدب وإنما يوجد أدباء يكرّرون موروثهم الثقافي الذي تمليه عليهم، منطقة اللاوعي الجمعي.

إلا أن هذا الإنكار للأدب لا يعين أنه إنكار تام له، وإنما تركوا له فسحة يصدق عليها تسمية الأدب، وهي فسحة (الانزياح والتعديل والتحوير) .. فكلما خرج الأديب في نصه عن الأنماط البدائية وانزاح عنها يكون قد أبدع أدبا جديدا .

وأما دور الناقد الأسطوري فيتأتى في تأمل النص الأدبي والوقوف بعيدا عنه ليكشف عن منظومتها الأسطورية، ويكشف كذلك الأمر عن الانزياحات التي أصابت ما يسمى في النقد الأسطوري بـ (الميثة) أي الأسطورة في حالتها البدائية قبل أن يطرأ عليها أي انزياح.

الخاتمة:

هذه هي أهم القضايا التي عالجها الدكتور وهب في كتابه، فقد أثبت الناقد للمتلقي نظرة ثاقبة في النقد العربي فكشف عن ملامحه المأساوية، وهو كشف يكاد يكون مطابقا كل التطابق لهذا الواقع النقدي، ونظّر تنظيرا لقراءة الشعر القديم أظن أن فيه المنهج الحق والدقيق لقراءة هذا الإبداع . وأما المذهب الأسطوري في قراءة الشعر، فبحسب ما خبرت عنه لا يتعدى دراسة التناص الثقافي الذي لابد منه في أي عمل أدبي إذ لا وجود لأدب قادم من الفضاء وخارج عن الواقع، والموروث الثقافي . والتنظير لمثل هذا المنهج هو قتل للإبداع وإن تركوا له مساحة

ضئيلة . رغم ما قيل عن هذا المنهج بأنه إعادة لإنسانية الإنسان ، فإنسانية الإنسان لا تتأتى من العودة إلى الأصول البدائية وإنما في صياغة هذه الأصول مع الواقع لتشكيل المستقبل المشرق.